الإصدار السابع
المجلد (2) العدد (3)
20 سبتمبر 2026

مجلة روافد العلوم
للدراسات والبحوث

آجال الامم بين التقدير الإلهي والسنن الحضارية في القرآن الكريم: دراسة تحليلية

م.م. مصطفى رأفت حاتم مسلم الابراهيمي

(جامعة الكوفة، كلية التربية، قسم علوم القرآن الكريم والتربية الاسلامية)

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير عباده أجمعين محمد بن عبد الله وآلة الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد:

إن هذا البحث الموسوم (آجال الأمم في القرآن الكريم) كان سبب اختياري له لمعالجة بعض الظواهر اللاأخلاقية في المجتمع.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث كونه يحاول الوصول إلى الارتباط التاريخي بين مشاكل العصر وبين مثيلاتها في الأمم السالفة ومدى مدخوليتها بأجل كل من العصرين؛ لذا ركز البحث على ظاهرتي اللواط والتطفيف؛ لما لهما من انتشار واسع في العصر الحاضر وتحذير القرآن الشديد منهما.

هيكلية البحث:

أما فيما يخص هيكلية البحث فقد تحتم علينا تقسيمه إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة فيها نتائج ما توصلنا إليه في هذا البحث، فقد تضمن المبحث الأول (قوم لوط ع) وذكر الفاحشة التي كانوا يفعلونها، وتقسم بدوره على ثلاث مطالب ستأتي إن شاء الله، أما المبحث الثاني (قوم شعيب عليه السلام) ومدى تأثير الفعل الذي كانوا يفعلونه وهو التطفيف في أجلهم.

وكأي بحث يمر بمراحل فيها من الصعوبات والمشاكل فقد واجهنا في هذه الرحلة بعض المشاكل منها: قلة المصادر وصعوبة الحصول عليها، إضافة إلى أن التعرض لهكذا مواضيع مع قلة الخبرة في الأمور الفقهية يعد تحديا.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على بعض المصادر ومن أهمها: قصص الأنبياء لابن كثير، وقصص الأنبياء للسيد نعمة الله الجزائري، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله.

الكلمات المفتاحية: آجال الامم، التقدير الإلهي، السنن الحضارية، القرآن الكريم، سنن الله، هلاك الأمم.

Abstract:
Praise be to God, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the best of all His servants, Muhammad ibn Abdullah, and his pure and righteous family, and may the perpetual curse be upon all their enemies, from the first to the last.
And after:
This research, titled "The Lifespans of Nations in the Holy Quran," was chosen to address certain immoral phenomena in society. The importance of this research lies in its attempt to establish the historical connection between contemporary problems and their counterparts in past nations, and to explore their relation to the lifespan of each era. Therefore, the research focuses on the phenomena of homosexuality and fraud, given their widespread prevalence in the present age and the Quran's strong warnings against them.
Regarding the structure of the research, we were compelled to divide it into an introduction, two main sections, and a conclusion summarizing our findings. The first section, "The People of Lot (peace be upon him)," details the abominable act they committed, and is further divided into three points, which will be discussed later, God willing. The second section examines "The People of Shu'ayb (peace be upon him)" and the impact of their practice of cheating in weights and measures on their lifespan.
As with any research, there are stages fraught with difficulties and challenges. We encountered some problems during this journey, including the scarcity of sources and the difficulty in accessing them. Furthermore, addressing such topics with limited experience in Islamic jurisprudence presents a significant challenge.
In this research, we relied on some sources, the most important of which are: Stories of the Prophets by Ibn Kathir, Stories of the Prophets by Sayyid Nimatullah al-Jaza'iri, and Bihar al-Anwar by Allamah al-Majlisi, may God have mercy on him.
Keywords:The lifespans of nations, divine decree, civilizational norms, the Holy Quran, the laws of God, the destruction of nations

التمهيد

الأجل لغة :هو مدّة الشيء ، أي هو مدّة لأمر ما، ففي القاموس المحيط "لأجل غاية الوقت في الموت وحلول الدّين ومدّة الشيء(وجمعه آجال) والتأجيل تحديد الأجل، وستأجله فأجّلني إلى مدّة"[1]، وذُكر هذا المعنى في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:**{وَلَا تعزِموا عقدَةَ النكاح حَتى يبلغ الكِتبُ أَجلَه }** [2]وقد وردت كلمة (الأجل) في الكتاب العزيز في آيات كثيرة وفي صيغ متباينة وبألفاظ متقاربة، تؤدي معنى المدّة والزمن في ستٍ وخمسين آية،[3]وفي لسان العرب "الأجل غاية الوقت في الموت ،وحلول الدين ونحوه، وأجّل الشيء ،بأجلٍ وأجيل: تأخّر وهو نقيض العاجل ،والأجل :المؤجل إلى وقت، [4]وفي المصباح المنير" أجل الشيء :مدّته ووقته الذي يحل فيه ،وهو مصدر أجل الشيء ،أجلا من باب تعب، وأجلته تأجيلا جعله له أجلا (والأجل)على فاعل خلاف العاجل.[5]

أما اصطلاحا: هو المدّة المضروبة لحياة الإنسان فيقال: دنا أجله، عبارة عن دنوّ الموت. وأصله: استيفاء الأجل أي: مدّة الحياة. [6] قال الله تعالى: **{مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ}** [7]أو وقت يحدد لانتهاء الشيء، وقوله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) [8]أي: انقضت عدتهنَّ وقد يراد به الهلاك: "قال الله تعالى: {**وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}** [9] يعني هلاكهم" ".وقد يأتي بمعنى العذاب قال الله تعالى: **{أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّر}** [10].**المبحث الأول: قوم لوط (عليه السلام)** كان قوم لوط عليه السلام خليطًا من الكنعانيين، وممن نزل حولهم [11] ،وكانوا يسكنون في المنطقة الواقعة بين الأردن وفلسطين (في خمس قرى أكبرها سَدوم ، وحولها صبعه وصعره وعمْرة ودُوما [12]وهذه القرى هي المؤتفكات التي ورد ذكرها في قوله تعالى:**{ وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ }** [13]كما ذكره المفسرون[14]، وقد أشار القرآن الكريم إلى مواطنهم في قوله تعالى **:{ وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ* إِلاَّ عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ* ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ* وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ* وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ}**،[15] والخطاب موجه إلى مشركي قريش لحثهم على التدبر في مصير المكذبين قبلهم، ومنهم قوم لوط الذين يمرون على مواطنهم في أسفارهم بين مكة والشام صباحًا وليلًا [16] ،وذكر بعض أهل التفسير والتاريخ أن أطلال قرى قوم لوط تقع تحت مياه البحيرة المنتنة المعروفة حاليًا بالبحر الميت بين الأردن وفلسطين [17]وكان قوم لوط معاصرين للخليل (عليه السلام)، فقد أخبر الله جل وعلا أن لوطًا كان ممن آمن بإبراهيم ، قال تعالى :**{ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ}** [18] ،وقد بُعث لوط إلى قومه في حياة الخليل ، والملائكة

---

(1) القاموس المحيط . أمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي المتوفى (817هـ) وأسم الكتاب الكامل القاموس المحيط والقابوس الوسيط ،الجامع لما ذهب من كلام العرب ،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف :محمد محمد نعيم العرقسوسي الناشر : مؤسسة الرسالة والطبع والنشر، بيروت ـ لبنان ،1426هـ - 2005 م. ط 3/ 327

(2) سورة البقرة : 235.

(3) المعجم المفهرس الالفاظ القرآن ،لـ محمد فؤاد عبدالباقي الناشر دار الحديث، مصر : مركز تفسير للدراسات القرآنية ،ط1، 1436هـ الموافق 2015م ، 14-15

(4) لسان العرب،محمد مين مكرم المعروف بابن منظور المحقق عبد الصادق العبيدي الناشر دار الإحياء بيروت لبنان ،ج:1،ص:15.

(5) المصباح المنير أحمد بن محمد الفيومي تحقيق عبد العظيم الشناوي دار المعارف ط 2 /1-5.

(6)أنظر: الميزان،السيد محمد حسين الطباطبائي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ،أيران قم المقدسة ،ج:7،ص10.

(7) الأحقاف :3.

(8) الطلاق :2، البقرة:.234

(9) الأعراف:185.

(10) نوح :4.

(11) أنظر: والتنوير تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور الدار التونسية للنشر والتوزيع(د.ط) ،(د.ت) ٨ / ٢٢٩

(12) أنظر:تاريخ الطبري ١/ ١٨٣، ومروج الذهب لابي الحسن علي المسعودي ت346 هـ تحقيق محمد محي الدين ط 4 1384هـ مكتبة السعادة مصر ١/ ٤٥، وفيه (صابورا وصاعورا وعمورا وأدموتا) ، أنظر : المختصر في أخبار البشر عماد الدين إسماعيل بن أبي الحسن ت 734هـ طبعة قديمة بدون معلومات ١/ ٢٥

(13) الحاقة:9.

(14) أنظر: زاد المسير لابن الجوزي جمال الدين عبد الرحمن بن علي الحنبلي ت 597هـ تحقيق محمد عبد الرحمن ط 1 1407هـ دار الفكر بيروت ٣/ ٣١٧ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٨٣، وتاريخ الطبري ١/ ١٨٣

(15) الصافات: 133 /138

(16) أنظر: تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت310هـ ط 1 1408 هـ دار الفكر بيروت / ٢٣ /٩٧.

(17) أنظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٣٥٧، وقصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار مكتبة دار التراث القاهرة ص ١٤٧-١٤٨

(18) العنكبوت: 26 .

الذين أرسلوا لهلاك قومه جاءوا إلى إبراهيم أولًا قبل أن يتوجهوا إلى قرى قوم لوط [19] وكان قوم لوط قد ابتدعوا فاحشة لم يُسبقوا إليها واشتهروا بها من بين الأمم ، ألا وهي فاحشة إتيان الرجال شهوة من دون النساء ، يستعلنون ذلك ولا يستترون ، فأرسل الله إليهم لوطًا عليه السلام ، فزجرهم وأنذرهم ، لكن القوم كان قد تأصلت فيهم هذه الفاحشة واستولت عليهم الشهوة البهيمية ، فلم يزدادوا إلا عنادً وإصرارًا على فعلتهم الشنيعة، فكانوا بذلك يستنزلون عقاب الله ويستعجلون عذاب الدنيا قبل الآخرة ،ولم يؤمن للوطن من قومه سوى أهل بيته باستثناء امرأته ، فقد آثرت البقاء على دين قومها، وأعانتهم على فواحشهم ، فلما جاء الهلاك هلكت مع من هلك ، وكان هلاكهم بألوان من أشد العذاب ، إذ قلب الله قراهم فجعل عاليها سافلها ، ورافق ذلك صيحة عظيمة ، ومطرٌ بحجارة من سجيل ، فأبيدوا عن آخرهم، وبقيت قصتهم عبرة للمعتبرين . [20]

المطلب الأول: فعل قوم لوط وصفاتهم.

عاش الوط ع في نفس زمن إبراهيم (عليه السلام)مرسلًا إلى بعض الأقوام المجاورة لإبراهيم ، كان هؤلاء القوم كما يخبرنا القرآن الكريم يمارسون نوعاً من الشذوذ لم تعرفه البشرية قبلهم ، وهو اللواط ، عندما نصحهم لوط بأن يتركوا هذه الفاحشة ، وأنذرهم بطش الله وعقابه ، كذبوه وأنكروا نبوته ورسالته ، وتمادوا في شذوذهم وغيهم ، واستمروا في ذلك كما ذلك ذكرت الروايات وما ذكروا أرباب السير أنهم كانوا يتضارطون في المجالس ويكثرون من قول الفحش وكانوا يخونون الرفيق ويتعرضون للمارة بالسب والشتم ويفعلون المنكر في ناديهم[21].

وهذه روايات آل محمد عليهم السلام تبين صفاتهم وسلوكياتهم المنحرفة:

عن الباقر (عليه السلام) قال: إنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط؟ فقال : إنَّ قوم لوط كانوا أهل قرية لا يتنظّفون عن الغائط ، ولا يتطهّرون من الجنابة ، بخلاء أشحّاء على الطّعام ، وأنّ لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة ، وانّما كان نازلاً فيهم ولم يكن منهم ، ولا عشيرة له فيهم ولا قوم، وأنّه دعاهم الى الله تعالى وإلى الإيمان به واتّباعه ، ونهاهم عن الفواحش ، وحثّهم على طاعة الله فلم يجيبوه ولم يطيعونه [22]وعنه (عليه السلام) قال : كان قوم لوط من أفضل قوم خلفهم الله فطلبهم إبليس الطلب الشديد ، ثم ذكر كيف علمهم أن يلوطوا به ـ إلى أن قال ـ فوضعوا أيديهم فيه حتى اكتفى الرجال بالرجال بعضهم ببعض ، ثم جعلوا يرصدون مارة الطريق فيفعلون بهم وأقبلوا على الغلمان ، ثم ذكر كيف بعث الله إليهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكيف أهلكهم الله ، وأنجى لوطا وبناته ـ إلى أن قال : ـ قال الله عزّ وجلّ : لمحمد (صلى الله عليه وآله) : **{وما هي من الظالمين ببعيد }** [23]من ظالمي امتك إن عملوا ما عمل قوم لوط . ورواه الصدوق في (عقاب الاعمال) [24] وفي العلل أيضا، ورواه البرقي في (المحاسن) مثله[25].عنه (عليه السلام) ـ لما سأله أبو بصير عن استعاذة النبي من البخل -: نعم يا أبا محمد في كل صباح ومساء، ونحن نتعوذ بالله من البخل، يقول الله: * (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) * وسأخبرك عن عاقبة البخل، إن قوم لوط كانوا أهل قرية أشحاء على الطعام، فأعقبهم البخل داء لا دواء له في فروجهم، فقلت: وما أعقبهم؟ فقال: إن قرية قوم لوط كانت على طريق السيارة إلى الشام ومصر، فكانت السيارة تنزل بهم فيضيفونهم، فلما كثر ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذرعا وبخلا ولوما، فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم إلى ذلك، وإنما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتى ينكل النازل عنهم، فشاع أمرهم في القرية وحذرهم النازلة فأورثهم البخل بلاء

---

(19) كما في الآيات 69 -70 في سورة هود و 51 -59 في سورة الحجر وغيرها .

(20) انظر: أسباب هلاك الأمم السالفة كما ورد في القرآن الكريم سعيد محمد بابا سيلا ط1 32.

(21) ينظر :قصص الأنبياء ابن كثير عماد الدين أبو فداء إسماعيل ابن كثير القرشي (ت774) تحقيق الدكتور عبد الحي من جامعة الأزهر ط/5 1417هـ 1997م الناشر دار الطباعة والنشر الإسلامية .

(22)علل الشاريع ج/ 2 /551 الشيخ الصدوق محمد ابن بابويه القمي ، ت 11107هـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة ايران ط 1 1427هـ .

(23) هود 11 : 83

(24) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، قم، دار الشريف الرضي للنشر، ط2 ،1406هـ. 2 /83.

(25) المحاسن ، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ت ٢٧٤هـ ج١ تحقيق السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)ط١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش 103 / 110

لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم من غير شهوة لهم إلى ذلك، حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل ،ثم قال: فأي داء ادئ من البخل ولا أضر عاقبة ولا أفحش عند الله تعالى؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فهل كان أهل قرية لوط كلهم هكذا يعملون؟ فقال: نعم إلا أهل بيت منهم من المسلمين، أما تسمع لقوله تعالى: * (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين [26]. وأخرج إسحاق بن بشر وطيب نيسان عساكر، وعن الإمام الحسن (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه آلة): "عشر خصالها قوم لوط، بها أهلكوا، وتزيدها أمتي بخلة: إتيان الرجال بعضاً، ورميهم بالجلاهق، والخذف، لوصولهم الحمام، وضرب الدفوف، وشرب الخمور، وقصة اللحية، وطول الشارب، والصفر، والتصفيق، ولباس الحرير، وتزيدها أمتي بخلة: إتيان. النساء بعضاً ". وأخرج ابن عساكر عن الزبير عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه آلة): "كل سنن قوم لوط قد فقدت إلا ثلاثاً: جر نعال السيوف، وقصف الأظفار، وكشف العورة". وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله:

{ وأدخلناه في رحمتنا } قال: في الإسلام [27] . عن الأصبغ قال: سمعتُ عليّاً (ع) يقول: "ستة من أخلاق قوم لوط: الجلاهق [28]وهو البندق، والخذف، ومضغ العلك وإرخاء الإزار خُيلاء والصفير وحلُّ االإزرار [29]وعن أبي جعفر(ع)فِي حَدِيثِ قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلَّمَهُمُ اللِّوَاطَ، تَرَكُوا نِسَاءَهُمْ وَ أَقْبَلُوا عَلَى الْغِلْمَانِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَ أَمْرَهُ فِي الرِّجَالِ، جَاءَ إِلَى النِّسَاءِ فَصَيَّرَ نَفْسَهُ امْرَأَةً ثُمَّ قَالَ، إِنَّ رِجَالَكُنَّ يَفْعَلُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ قَالُوا نَعَمْ، قَدْ رَأَيْنَا كُلَّ ذَلِكَ يَعِظُهُمْ لُوطٌ وَ يُوصِيهِمْ، وَ إِبْلِيسُ يُغْوِيهِمْ حَتَّى اسْتَغْنَى النِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ كَيْفِيَّةَ إِهْلَاكِهِمْ[30].

عن سعد عن أحمد بن أبي عبد الله عن علي بن عبد الله عن عبد الرحمن بن محمد ومثله

وزادوَا إِنَّمَا أَهْلَكَ اللهُ قَوْمَ لُوطٍ لِمَا عَمِلَ النِّسَاءُ، مِثْلَ مَا عَمِلَ الرِّجَالُ يَأْتِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً .[31]

أنهم كانوا يفعلونها- أي الفاحشة - بالمجتازين في ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالخذف، [32] فأيهم أصابه كان أولى به ويأخذون ماله وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاض يقضي بذلك، وكانوا يقطعون الطريق على الناس بالسرقة **{وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ}**، وكانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء.

وعن ابن عباس وروي ذلك عن الرضا (عليه السلام) وقيل إنهم كانوا يأتون الرجال في مجالسهم يرى بعضهم بعضا وقيل كانت مجالسهم تشتمل على أنواع المناكير مثل الشتم والسخف والصفع والقمار وضرب المخراق وخذف الأحجار على من مر بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط [33]

ويقول الدكتور رشدي البدراوي: لما أمرهم لوط أن يتقوا الله وأخبرهم أنه مرسل من الله وأنه أمين فيما ينصحهم به وطلب منهم أن يطيعوه كما قال لهم إنه لا يسألهم أجرا على هذا النصح؛ لأن أجره على الله رب العالمين. إذ قال لهم اخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر

إلا على رب العالمين ثم بدأ يذكرهم بالموبقات التي يرتكبونها وهي:

1 - الشذوذ الجنسي

قال تعالى: {**ولوطا أذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما بسقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر}** [34]

---

(26) علل الشرائع 4 / 548

(27) أنظر: تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور/ السيوطي (ت 911 هـ) ط1403/1هـ دار الفكر ،بيروت .

(28) تُطلقُ كلمةُ الجُلاهق على آلةٍ تُستعملُ عادةً للرمي اللهوي، وهي آلةٌ صغيرة تُوضع فيها طينةٌ مدورةٌ صلبة على هيئة البندقة يُرمى بها الطير أو الحيوان لغرض العبث واللهو، وأمَّا الخذفُ فهو وضع الحصاة على بطن الإبهام ودفعها بظفر السبَّابة، وهو عمل كان يُرادُ به اللهو والعبث .

(29) وسائل الشيعة محمد بن الحسن الحر العاملي، قم، مؤسسة آل البيت الإحياء التراث، ط1 ،هـ. ج5 / ص45 .

(30) نفس المصدر ج20 / 344

(31)نفس المصدر ج20 / 346

(32) الخذف: الرمي بين السبابتين أو المخذفة أي المقلاع

(33)بحار الأنوار ط بيروت ج12 /146

(34) العنكبوت :29/28

والشذوذ الجنسي كان متفشيا. يأتون الرجال والغلمان وهي فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من ولد آدم وكان ذكرهم في القرآن في سور أخرى بصيغة الاستفهام للاستنكارقال تعالى:**{ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ}**[35]**{وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}**[36]

{**تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ**}[37] في هذه الآيات يبين الله لهم قبح هذا الفعل لأنه غير محله إذ أن الشهوة محلها الطبيعي هو النساء لما يترتب عليه من الإنجاب ولنا أن نتصور مجتمعا فشا فيه الشذوذ الجنسي وعزف الرجال عن النساء ،فتتناقص المواليد وينقرض هذا المجتمع فكأنه ينتحر ولعل هذا هو السبب الذي في أن الاخ لما لم يرتدعوا ابادهم لأن هذا ما كانت ستؤدي إليه استمراريتهم في هذا الفعل وفي الآيات من سورة النمل **{وأنتم تبصرون}** أي ترون ما صار إليه العصاة من قبلكم أو وأنتم ينظر بعضكم بضعا لا يستتر ولا يتحاشى من إظهار ذلك لعدم اكتراثهم به. ووصفوا مرة بأنهم قوم مسرفون والإسراف وضع الشي ء في غير موضعة والخروج عن الحدود، ووصفوا مرة ثانية بأنهم قوم يجهلون أي يفعلون فعل الجاهلين، أو يجهلون عاقبة ما يفعلون. أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون أي بل أنتم قوم سفهاء ماجنون، ومرة ثالثة وصفوا بأنهم قوم عادون والعادي المتعدي في ظلمه المتجاوز في الحد. أي أنتم قوم متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي ومتجاوزون عن حد الشهوة حيث أتيتم مالم يخلق لذلك وتركتم ما هو مخلوق لذلك.

2- قطع السبيل:

قيل قطع الطريق بسبب الاعتداء على الغرباء والمارة بتلك الفعلة القبيحة كرها. وقيل يقطعون النسل بالأعراض عن الطريق الطبيعي وهو الزواج الذي يتم به تكاثر الخلق وقيل يقطعون الطريق بالقتل وقيل إنهم كانوا يتربصون لكل داخل مدينتهم من التجار ويجتمعون عليه من كل جهة ويمدون أديهم إلى بضاعته ويأخذون كل واحد منهم شيئا حتى لا يبقى في يده شيء كما كانون يقفون في طريق الناس ويقتلونهم ويأخذون أموالهم. 3- وتأتون في ناديكم المنكر:عن أم هانئ بنت أبي طالب (رضوان الله عليه) قالت: سألت رسول الله(صلى الله عليه وآله)عن قوله تعالى;(وتأتون في ناديكم المنكر) قال :كانوا يجلسون بالطريق فيحذقون أبناء السبيل ويسخرون منهم وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه ورواه الترمذي وقال حديث حسن.وعن مجاهد ومنصور والقاسم بن محمد وغيرهم.هو إتيان الرجال في مجالسهم ويرى بعضهم بعضا. وعنه ايضا هو تطريق الاصابع بانحناء والصفير والحذف ونبذ الحياء في جميع أمورهموعن ابن عباس هو تضارطهم وتصافعهم وحل الإزار والسباب والفحش في المزاح ،وهذه كانت أمراض ذلك المجتمع وأعراض فساده[38].وبدأ لوط (عليه السلام)دعوته بأن قصد نواديهم ومجتمعاتهم يبين لهم ضرر ما يفعلون ويدعوهم للإيمان بالله، ولكنه رأى الناس في مجالسهم ونواديهم يستهزئون بكل من مر بهم و يضحكون و يشيرون إليهم إشارات ماجنة كما رآهم يأتون المنكر على أعين الناس، وامتلأت نفسه بالحزن والأسى، وادرك جسامة مهمته، وبدأ يتساءل، هل يستطيع تغيير طبائع القوم؟ إنها مهمته وعليه أن يؤديها مهمه كلفه الأمر من مشقة، ورأى في الأسواق انواعا من الظلم والاستعباد. السادة يضربون العبيد بقسوة لأتفه الأسباب أو بدون سبب ويتقاطرون على التجار الوافدين ويتخاطفون البضاعة التي معهم بدون دفع ثمنها. وانطلق لوط إلى القوم في كل مجلس يحذرهم من مغبة ما يعملون ويبين لهم الأضرار التي ستحيق بهم من جراء أفعالهم هذه ،وقال لهم ما معناه إنه يمقت هذه الأفعال ويبغضها بشدة **{قال إني لعملكم من القالين}** [39] ، لم يسمعوا لقوله وظلوا في غيهم باقين ، وظل لوط عليه السلام حوالي تسع سنوات

(35) الأعراف :81

(36)النمل :55

(37) الشعراء:166

(38) ينظر: قصص الأنبياء والتاريخ الدكتور رشدي البدراوي ط 1 ،2004 ج2 /130.

([39]) الشعراء:168

لا يمل من دعوتهم للإقلاع عن الشر وحثهم على الأخلاق الحميدة وهم لا يرتدعون وناله أذى كثير، وكانوا يهزؤون منه ومن دعوته إلى التطهر. **{فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون}**[40]**{وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون }**[41] ومقصدهم السخرية بلوط ومن معه، كما يقول المفسدين لبعض المصلحين إذا وعظهم وأخرجوا هذا المتقشف أو أريحونا من هذا الزاهد المتزهد.

ولما استمر استنكاره لما يفعلون وبيانه لقبح افعالهم وضاقوا به وانتقلوا إلى موقف التهديد **{وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين }**[42] المثل يقول أجور من سدوم

يقول الأستاذ عبد الحميد جواد السحار: مرت السنون ولوط يدعوهم الى الهداية؟ وتأبى قلوبهم وطاقة نفس إبراهيم إلى تسنيم أخبار لوط فدعا إبراهيم وكيل بيته أليعازر الدمشقي وأمره أن ينطلق ليأتيه بخبر لوط فخرج علي أليعازر قاصداً سدوم فبلغها ونزل عن حماره وربطه ليقضي بعض شأنه واعاد فلم يجد الحمار فأخذ يبحث عنه دون جدوى سأل عنه أصحاب الحوانيت التي كان الحمار مربوطا بجوارها فلم يرشدوه بل وأنكروا أنه ربط حماره بجوارهم وبات ليلته وفي الصباح مر بالأسواق والنوادي ورأى أفعال القوم المنكرة فلم يستبشر خيرا وحانت منه التفاتته فإذا به يرى حماره المسروق مع أحد القوم فأخذ بتلابيبه فاحتكما للقاضي وأرشد اليعازر الى علامات في جسم الحمار التي أثبتت ملكيته له وادعى السارق أنه وجد الحمار في الطريق فأخذه وآواه وأطعمه وطلب أجر ذلك ولدهشة أليعازر حكم القاضي بان يسترد الحمار على أن يدفع مبلغ من المال للسارق أجرة إيواء الحمار وإطعامه[43] ،ورواية أخرى يرويها الأستاذ عبد الوهاب النجار[44]

قراها في كتاب من كتب الأدب العبري على مدى ظلمهم ذلك أليعازر لما دخل مدينه سدوم لقيه رجل من أهلها فضرب أليعازر بحجر في راسه فسال منه دم كثير ثم تعلق به قائلا إن هذا الدم لو بقي لأضر به وطلب اجرا على ذلك فلما حتكما الى قاضي سدوم حكم القاضي على اليعازر ان يعطي السدومي اجرا على ما فعل فلما رأى اليعازر الجور من القاضي عمد الى حجر ضرب به رأس القاضي فأسال دمه وقال له الأجر الذي وجب لي عليك بإسالة دمك عليك أن تعطي للسدومي جزاء ضربه إياي وإسالة دمي!

في هذا يقول الشاعر المعري: وأي أمرئ في الناس ألفى قاضيا ولم يمضي أحكاما كحكم سدومي

قد تكون هذه الحكايات موضوعة إلا أنها تبين الجو الفاسد والظلم البين الذي كان سائدا حتى القضاة على الانغماس في هذا الظلم تشجيع القوم بالوقوف بجانبهم والحكم لصالحهم حتى ان كانت جريمتهم واضحة للعيان ولاشك أن أليعازر قابل لوطا عليه السلام وسمع منه أكثر مما رآه من افعال القوم ولمس ما يلاقيه من عنت في مهمته وعاد أليعازر لينقل إلى إبراهيم عليه السلام صورة واضحة عن قوم سدوم وأفعالهم واستمر لوطا في دعواه لهم بالهداية والاستقامة ، وفي آخر الامر هددهم بان الله قد ينزل بهم عذابا قصاصا أن لم ينتهوا منها ويقلعوا عنها :{فما كان جواب قومه الا ان قالوا اتينا بعذاب الله ان كنت من الصادقين }[45]

وكان لهذا التحدي منهم معنى واحد هو انهم لن يستجيبوا له مهما كرر عليهم الدعوة فهم لم يأبهوا بتهديده إذ لا يؤمنون بانه نبي مرسل من الله ولم بل يحمل ضمنا انهم لا يؤمنون بوجود الله يحاسبهم ولا يصدقون ان عذابا ما سينزل بهم واصل الأمر بينه وبينهم الى طريق مسدود فلجا الى الله **{قال رب انصرني على القوم الفاسدين}** [46]

([40]) النمل :56

(41) الأعراف :72

(42)الشعراء : 116

(43) محمد رسول الله والذين معه ج 2/ 79

(44) قصص الأنبياء لابن كثير /128

(45) العنكبوت :29.

(46) النعكبوت:30.

{ربي نجني وأهلي مما يعملون} [47]

ولعل لوطا تساءل في نفسه إن كان قد أدى مهمته على أكمل وجه أم لا؟

لقد بذل كل ما في وسعه لننصحهم وهدايتهم ولكن لم تبدُ منهم اي بادرة ولو صغيرة على رغبتهم في الاستجابة لنصحه ولم يبدأوا بخطوة واحدة نحو إصلاح أنفسهم لو فعلوا لكان الله قد اعانهم على الخطوات التالية ولكنهم بأفعالهم المنكرة ولم يتزحزحوا عنها قيد أنملة بل كانوا يغوون القادمين إليهم حتى يشابههم في افعالهم فحق عليهم العذاب [48]

المطلب الثاني: خطورة عملهم وآثاره على الفرد والمجتمع.

خطورة هذه الفاحشة (اللواط) وآثارها السيئة ، هذه الفاحشة التي ابتدعها قوم لوط من أكبر الفواحش وأشنعها، فهي انتكاسة خطيرة عن الطبيعة البشرية، ومضادة لما فطر الله الناس عليها من ميل الذكر إلى الأنثى، والأنثى إلى الذكر، فهي خروج عن المألوف حتى لدى البهائم والوحوش. وينتج عن هذه الفاحشة آثار سيئة لا تقتصر على مرتكبها فحسب ؛ بل تتعدى إلى المجتمع الذي ترتكب فيها الفاحشة ، يقول ابن القيم بعد أن عدَّد الحِكمَ العالية والمصالح الكثيرة في ميل الذكر إلى الانثى والانثى إلى الذكر:(والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله وتُربِي عليه بما لا يمكن حصر فساده ،ولا يعلم تفصيله، إلا الله)[49] ولعظم هذه الفاحشة وخطورتها وصف القرآن الكريم مرتكبيها من قوم لوط بأوصاف لم تجتمع في غيرهم من الأمم السالفة ، فقد وصفهم نبيهم لوط بالإسراف كما في قوله تعالى:**{ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ}**[50]،وبالعدوان كما في قوله تعالى:**{ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ}**[51]، وبالجهل كما في قوله تعالى:**{بل أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}**[52]، وبالإفساد كما في قوله تعالى:**{ قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ}** [53]ووصفهم الملائكة الذي أرسلوا لهلاكهم بالإجرام

كما في قوله تعالى **{وأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}** [54]، وبالظلم كما في قوله تعالى: **{مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}** [55]،

ووصفهم بأنهم قوم سوء، وبالفسق أيضا كما في قوله تعالى: **{إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ}** [56]

و صف قريتهم بالقرية التي كانت تعمل الخبائث ، كما في قوله تعالى:**{ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ تَعْمَلُ الْخَبائِثَ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ}**[57]والمراد بها أهلها. ثم إن العقاب الذي عوقب به قوم لوط كان أشد مما عوقب به غيرهم ، فقد جمع الله عليهم قراهم، وجعل عاليها سافلها، مع مطر العذاب الذي أمطروا به، وهو حجارة من سجيل منضود.

وهذا العقاب الذي عوقب به قوم لوط كان جزاء عاجلا على انكبابهم على الفاحشة، وإصرارهم عليها ، وهو ردع وزجر لغيرهم ممن يأتي بعدهم ، وما أعد الله لهم في الآخرة أشد وأخزى ، والله سبحانه وتعالى رب حكيم لا يفعل شيئا إلا بمقتضى حكمة ، قد نعلمها وقد لا نعلمها ، وعنده أنواع من العقاب غير ما عاقب قوم لوط ، فيقدِّر على من سلك مسلكهم ما شاء من أنواع العقاب إن في الدنيا أو في الآخرة. وقد قال الله تعالى عقب ذكر هلاك قوم لوط بما سبق

(47) الشعراء :169.

(48) ينظر: قصص الأنبياء والتاريخ رشدي البدراوي ط 1 ،2004ج2 /132

(49) بدائع التفسير 260/2.

(50) الأعراف :81.

(51) الشعراء :166.

(52) النمل :55.

(53) العنكبوت :30.

(54) الحجر :58.

(55) الأعراف :84.

(56) الأنبياء:84.

(57) الأنبياء .84.

وصفه :**{ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}** [58]، قال ابن كثير: (وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه)[59]. وبالإضافة إلى عقوبة إبادتهم عن بكرة أبيهم ،والتي قد لا يكون مرتكب هذه الفاحشة بمنجاة منها هناك آثار سيئة لهذه الفاحشة على مرتكبيها وعلى المجتمع الذي تشيع فيها، ومنها :

الأضرار الخلقية التي تصيب مرتكبيها كثيرة جدا فهذا الفعل لوثة خلقية انحراف عن الفطرة السوية

فهي سبب لقلة الحياء وسوء خلق الإنسان واعدام الرحمة بقتل المروءة والشهامة والشجاعة والنخوة والعزة كذلك الشر والعدوانية وحب الجريمة والجرأة على فعلها.

والحمق والنزق والخرق والحقارة وسقوط الجاه والمنزلة ونزع الثقة من مرتكبة والنظر اليه بعين الخيانة وهو سبب لذهاب الغيرة من محلها.

إضافة إلى حرمانه العلم والترقي في مدارج كمال ومراتب الفضيلة.

وكذلك له اضرار النفسية كثيرة ومن جملتها الخوف الشديد والوحشة والاضطراب فالذي يمارس هذا العمل القبيح تراه مذعورا يحسب كل صيحة عليه وكل مكروه قاصدا اليه أذ يعيش بعذاب وقلق

وهذا جزاء عاجل والعذاب الأخروي سيأتي لا محالة.

فهذه الفاحشة تجعل صاحبها عرض للإصابة بأمراض عصبية شاذة وعلى نفسية شائنة تفقده لذة الحياة

منها الرغبة في العزلة والانطواء لمن يمارس هذا العمل تجدهم مؤثرا للعزلة ولا يأنس إلا بمن يلائمه ويشاكله فهو متقلب المزاج وضعيف الشخصية وعدم استقلالها الانهزامية وانعدام الثقة بالنفس فمن مارس هذا العمل يشعر بالذنب وأن الناس يعلمون بقبيح فعله، فلسوء فعله ساء ظنه

كما قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاد من توهم

وعادى محبيه بقول عداته وأصبح في ليل من الشك مظلم

و الإصابة بمرض الهوس والتوتر النفسي والتردد وغيرها من الامراض وهناك أضرار صحية اخرى كثيرة مذكورة في الكتب المختصة. أما آثاره على المجتمع فكثيرة أيضا ، منها : انتشار الأمراض الخطيرة من فاعلي الفاحشة إلى غيرهم ، وكذلك انهيار نظام الأسرة وتفكك المجتمع ، وانتشار الجرائم ، لاسيما اختطاف الأطفال وفعل الفاحشة بهم ثم قتلهم ، إلى غير ذلك من الآثار المدمرة لهذه الفاحشة كما نشاهدها أو نسمع عنها في البلدان المنحلة خلقيا ، وهذه عقوبات يسيرة من جانب ما أعده الله للمجرمين من عذاب النار في الآخرة ، أعادنا الله من عذابه في الدنيا والآخر [60].

المطلب الثالث: حكم مرتكب هذه الفاحشة في الشريعة الإسلامية.

كما تقدم في الصفحات اعلاه أن اللواط من الجرائم الخلقية التي لا تليق بالنوع الإنساني، وفطرته التي فطره الله عليها. فاللواط فيه عدوان ظاهر على الإنسانية والفطرة السليمة، وخروج عن سنن الله الطبيعية، ولهذا سماه الله فاحشة كالزنى، قال تعالى: **{أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين}** [61].

(58) هود: 83.

(59) ينظر تفسيره 83/2.

(60) ينظر: قصص الأنبياء والتاريخ 132 و الجريمة الخلقية ،محمد إبراهيم الحمد15.

(61) الأعراف :80.

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) إن حرمة اللواط أعظم من حرمة الزنا [62]ووفقاً لحديث النبي محمد (صلى الله عليه وآلة) وسلم فإن مرتكب اللواط يأتي يوم القيامة جنباً لا ينقيه ماء الدنيا ويغضب الله عليه ويلعنه، فمن ارتكب هذا الفعل الشائن فقد اختلفت فيه آراء المذاهب:

فمنهم من قال: إنه يعاقب عقوبة الزاني وهي الإعدام. إن كان محصناً، أما الموطؤ فعقوبته الجلد كالبكر، لأنه لا يتصور فيه إحصان. ومنهم من يقول: إن عقاب السلائط من باب التعزير، لا من باب الحد، فعلى القاضي أن يحبسه، أو يجلده، بما يراه رادعاً له عن الجريمة، فإذا تكررت منه، ولم يزدجر عزر بالإعدامواتفقت المذاهب الاسلامية، على تحريم واللواط في نظر الشرع، وعلى أنه من الفواحش العظام، بل إنه لأفحش من جريمة الزنا، وإنه كبيرة من الكبائر، وذلك للأحاديث المتواترة في تحريمه، ولعن فاعله. ولكنهم اختلفوا كما ذكرناه اعلاه في عقوبة فاعل هذا المنكر وكيفية اثباته.

فذكروا أصحاب المذهب الجعفري اعزهم الله تعالى أن اللواط الموجب للحد يثبت بالطرق التالية :

1- اقرار الفاعل أو المفعول أربع مرات بشرط أن يكون عاقلاً بالغاً مختارا، كما هي الحال في الزنى.

2- شهادة أربعة رجال عذولو لا تقبل شهادة النساء اطلاقاً،لا منضمات ولا منفردات، و إذا انتفت البينة و الاقرار فلا يمين على من أنكر.

3- عِلْمُ الحاكم ، فانه يقيم الحدَّ على الفاعل و المفعول إذا قبضهما بالجُرم المشهود ، تماماً كما هي في الزاني و الزانية قال صاحب الجواهر و المسالك لأن علم الحاكم أقوى من البينة. وذهبوا أعزهم الله، إلى إن عقوبة السلائط والملوط به هي الإعدام إذا كانا بالغين، أما غير البالغ منهما فيعاقب بالتأديب؛ والتأديب هو العقوبة التي يجريها الحاكم الشرعي على غير البالغ وتكون أقل من الحد الشرعي طبعاً بعض الفقهاء مثل السيد أبو القاسم الخوئي لديهم رأي غير مشهور، بحيث أنهم يحكمون بالإعدام على الملوط به مطلقاً، بينما يحكمون بعقوبة الإعدام على اللّائط فيما لو كان محصناً، بمعنى أن له زوجة وقادر على نكاحها، أما إن لم يكن محصناً فعقوبته مائة جلدة،كذلك وفقا لبعض الفقهاء، إذا لم يكن هناك إدخال للآلة في الدبر أثناء اللّواط، فإن حدّه مائة جلدة، وعلى أي حال، إذا تاب مرتكب اللّواط قبل إثبات جريمته فإن الحكم يسقط عنه. وطريقة عقوبة الإعدامذكرت في الروايات والمصادر الفقهية طرق لإعدام مرتكب اللواط، مثل: ضرب العنق، والإحراق، والرمي من شاهق، والرجم، وهدم الجدار عليه، وبناءً على مصلحة المجتمع الإسلامي؛ يأمر الحاكم الشرعي بتنفيذ أحد هذه الطرق. ومع ذلك، ففي بعض الأحيان إذا تسبب تنفيذ بعض الحدود إلى ضعف أو ضرب أصل الدين، فإن الحاكم الشرعي لديه السلطة لإيقاف تنفيذ الحدود مؤقتاً من أجل حفظ المصالح الأهم للإسلام أو يأمر بتنفيذ بعض الأساليب والأشكال الأخرى لإجراء الحد مثل الشنق أو الرصاص [63].أما أصحاب المذاهب الأربعة: ومنهم المالكية، والشافعية، والحنابلة – قالوا: إن البينة على اللواط مثل البينة على إثبات الزنا، فلا يثبت إلا بشهادة أربعة من الرجال العدول، ليس فيهم امرأة، يرون الميل في المكحلة، و الحنفية – قالوا: إن بينة اللوط غير بينة الزنا، لأن ضرره أخف منه، وجنايته اقل من جنايته، حيث لا يترتب على اللواط اختلاط النساب، ولا هتك الأعراض.. فثبتت البينة بشاهدين فقط، فلا يلحق بالزنا إلا بدليل، ولم يوجد دليل من الكتاب ولا من السنة فبقي الحكم على الأصل مثل باقي الأحكام والشهادات.واما العقوبة المترتبة عليه فذهب المالكية، والحنابلة، والشافعية – وقالوا: إن اللواط إذا ثبت يوجب الحد لكنهم اختلفوا في صفة الحد، قياساً على حكم الزنا، بجامع إيلاج فرج محرم، في فرج محرم.المالكية، والحنابلة، وفي رواية عند الشافعية – قالوا: إن حد اللوط الرجم بالحجارة حتى يموت، الفاعل والمفعول به، بكراً كان أو ثيباً، ولا يعتد فيه بالإحصان وشرائطه المذكورة في حد الزنا، أو يقتلان بالسيف حداً، واحتجوا على رأيهم بأن التلوط نوع من أنواع الزنا، لأنه إيلاج فرج في فرج بشهوة ولذة، فيكون اللائط والملوط به داخلين تحت عموم الأدلة الواردة في الزاني المحصن والبكر الزاني. اما عند الديانات السماوية الأخرى اعتبر اللّواط عملاً قبيحاً وممنوعاً وعند

(62) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح: علي أكبر الغفاري ومحمد الآخوندي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ط4، 1407هـ ج5 /543.

(63) ينظر: تحرير الأحكام الشرعية ،العلامة الحلي، ج2،ص 13/ ومنهاج الصالحين السيد الخوئي،1410 هـ /ج2،ص225.

الزرادشتية يعتبر اللّواط أسوأ الأفعال وفاعله يستحق الإعدام، وفي التوراة ذكر اللّواط بعنوان الفجور. وفي العهد الجديد (الإنجيل)،كذلك، يعتبر مرتكب اللّواط فاسق وظالم كما أنه لا يرث ملكوت الله[64].

المبحث الثاني: قوم شعيب (عليه السلام)

قوم شعيب (عليه السلام):مدين قبيلة عربية ، يعيد كثير من المفسرين والمؤرخين نسبها إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ((65)، وكانت هذه القبيلة تسكن مدينة مدين المسماة باسم جدها مدين ، ونُقل عن بعض المؤرخين أن أرضهم كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء، وذكر آخرون أنها كانت تمتد من شبه جزيرة سيناء إلى نهر الفرات [66].وقد حدد ابن كثير(موقع مدينة مدين بأنها (قريبة من أرض معان(من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط) أما عصرهم فكان بعد قوم لوط بيسير، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى حكاية عن شعيب (عليه السلام): **{وَيا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ وَما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ}** [67]، أي زمانًا ومكانًا.وقد أرسل الله إليهم رسولا منهم هو شعيب عليه السلام لدعوتهم إلى توحيد الله جل وعلا ، وترك ما درجوا عليه من نقص المكيال والميزان. والقرآن الكريم يذكر قصة قوم شعيب تارة باسم مدين، كما في قوله تعالى : **{ وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [68]،، وتارة باسم أصحاب الأيكة ، كما في قوله تعالى: **{وَإِنْ كانَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ لَظالِمِينَ}**،[69]، والمرجح أن مدين وأصحاب الأيكة اسمان لأمة واحدة أُرسل اليهم شعيب ، فتسميتهم بمدين نسبة إلى جدهم أو مدينتهم ، وتسميتهم بأصحاب الأيكة نسبة إلى أيكة كانوا يعبدونها. ويدل على هذا القول أن الله تعالى ذكر في أصحاب الأيكة ما ذكره في مدين من نقص الميزان والمكيال وتوابع ذلك بدون أيّ اختلاف في الأسلوب مما يدل على أنهما أمة واحدة. ويرجح هذا القول أيضا عدم ورود هذين الاسمين معا في أيّ موضع في القرآن الكريم ، ولو كانا أمتين فلَرُبَّما ذُكِرَتا معًا في بعض المواضع ، ولا سيما في المواضع التي ذُكر فيها أجل الأمم المكذبة في سياق واحد، كما في سورة التوبة((70)، والحج[71] ، و ص[72]، و ق[73]. وقال قتادة فيما ذُكر له إن أصحاب الأيكة أمة غير أهل مدين ، وأن شعيبا أُرسل إليهما، وعمدة هذا القول شيئان: ١ -أن الله سبحانه وتعالى قال:**{ كَذَّبَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاتَتَّقُونَ}**[74]، وذلك دليل على أنهم غير مدين. ٢-أنه ذكر عذابهم بيوم الظلة ، وذكر في أهل مدين الرجفة والصيحة مما يدل على أنهم أمتان عُذِّبتا.: (وسئل ابن الجنيد عن حديث رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام ، عن هشام بن سعيد ، عن سعيد بن أبي هلال، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وآله " أنه قال ذات يوم : (أن مدين وأصحاب الأيكة أمتان بُعث إليهما شعيب) فقال : هذا باطل ، الصواب ما حدثنا أحمد بن صالح عن ابن وهب عن عمرو بن الحرث ، عن. سعيد بن أبي هلال عن عمرو بن عبد الله عن قتادة قال : أصحاب الأيكة ، والأيكة

(64) الفقه على المذاهب الأربعة عبد الرحمن الجزيري الناشر دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ط 2 ، 1424 هـ – المجلد 5 –ص 125.

(65) ينظر تفسير الرازي 180/13/7 ،وقصص الأنبياء لابن كثير 272/1-275.

(66) ينظر :تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م ج٣ 524/8.

(67) هود :89

(68) الأعراف:85.

(69) . الحجر:78.

(70) التوبة:70

(71) الأيات 42-44.

(72) الأيات 12-14.

(73) الأيات 14-21.

(74) الشعراء:١٧٦-١٧٧،

: الشجر الملتف. وذكر ابن كثير هذا الحديث في تفسيره [75] ،من رواية ابن عساكر ثم قال :(وهذا غريب وفي رفعة نظر، والأشبه أن يكون موقوفا) ولم أقف على أحد نُسب إليه هذا القول غير قتادة والله العالم. وقد أجيب عن الأول بأن عدم ذكر أُخوَّته لهم ليس لأنه منهم ، بل لما تقدم من ذكر التكذيب ونسبتهم إلى الأيكة التي كانوا يعبدونها، فلا تناسب ذكر الأخوة بعد هذا ، وإن كان في النسب لا في الدين. وأجيب عن الثاني بأن تنوع العذاب لا يدل على تنوع المعذبين ، وإلا للزم كونهم ثلاث أمم، لأنه ذكر في عذاب قوم شعيب الصيحة والرجفة والظلة. وهناك مثال في القرآن لتسمية أمة باسمين ، فقوم صالح ورد تسميتهم بثمود في معظم القرآن، وفي موضع سموا بأصحاب الحجر نسبة إلى مساكنهم ، ولم يقل أحد إن ثمود غير أصحاب الحجر. فالصحيح أنهم أمة واحدة اجتمعت عليهم هذه الأصناف من العذاب ، وذكر في كل موضع ما يناسب السياق فقد كان هؤلاء أهل شرك وكفر ، وتطفيف للمكاييل والموازين ، ولم يُجد معهم دعوة شعيب إياهم إلى التوحيد، وإيفاء الكيل والميزان ، بل ازدادوا عنادا وإصرارا ، فكان هلاكهم بهذه الأصناف من العذاب (أصابهم الظلة وهي سحابة أظلتهم، فيها شرر من نار ولهب ، ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح ، وفاضت النفوس ، وخمدت الأجسام).وبعد هلاك القوم تولى عنهم شعيب ناعيا عليهم شقاوتهم ، قال تعالى :{ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ} [76]،

المطلب الأول: فعل قوم شعيب وصفاتهم

كان قوم شعيب بحكم موقع بلادهم الجغرافي يتحكمون في طرق التجارة الموصلة بين شمال الجزيرة وجنوبها ، وبين مصر والشام وبلاد العراق[77]، فكانوا يفرضون على الناس ما شاءوا من المعاملات التجارية الجائرة ، سعيا إلى جني الربح الفاحش ، دون مراعاة لما يقع على غيرهم من الظلم والغبن؛ وقد شاعت فيهم هذه المعاملات حتى صارت أمرا متعارفا عليه عندهم؛ فلما بعث الله شعيبا عليه السلام استهل دعوته بمحاربة ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والأوثان ، ثم ثنى بمحاربة تلك المعاملات الجائرة ، ومن أبرزها نقص الميزان والمكيال ، قال تعالى:**{ وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**[78].ولهذه الآية نظائر في سورة هود ، والشعراء ، وفي كلها نجد تركيز شعيب على معالجة هذا الانحراف المتأصل في قومه ، بأساليب مختلفة ، شملت الأمر والنهي ، والترغيب والترهيب؛ أما الأمر فكما في الآية المتقدمة ، وجمع بينه وبين النهي في سورة هود ، فنهاهم أولا عن نقص المكيال والميزان في قولهتعالى:{وَ لا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ } ،[79]ثم أمرهم بالإيفاء في قوله تعالى :{ وَ يا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسطِ} ، [80]فصرح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده زيادة في التأكيد والمبالغة وورد الأمر بالإيفاء في سورة الشعراء أيضا في قوله تعالى:**{ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ* وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ}**[81]، فيكون قد ورد الأمر في موضعين والنهي في موضعين. أما الترغيب والترهيب فقط جمع بينهما في قوله تعالى:**{إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ}** [82]،، فقوله تعالى:**{ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ}**[83] تعليل لما تقدم من النهي عن نقص الميزان والمكيال ، فهو بهذا يرغبهم في الكف عن هذا العمل الذي لا ضرورة

(75) ينظر أسباب هلاك الأمم كما ور د في القرآن الكريم ،36 وتفسير ابن كثير٣ / ٣٥٨

(76) الأعراف:٩٣

(77) ينظر: الظلال 609/4،ودراسات تاريخية 199-200.

(78) الأعراف:٨٥.

(79) هود:84

(80) الشعراء :181.

(81) الشعراء:١٨١- ١٨٢.

(82) هود: ٨٤.

(83) هود :84

تلجئهم إليه ، لكونهم في سعة من عيشهم، ورخص في أسعارهم ، بحيث لا يحتاجون إلى هذا الذي يأخذونه من الناس بنقص الميزان والمكيال.وقوله تعالى:**{إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ}**[84]ترهيب وتخويف من الإصرار على ما تقدم النهي عنه من الشرك ونقص المكيال والميزان [85].ونجد اسلوب الترغيب في مقالة أخرى لشعيب ، هي قوله عقب الأمر بإيفاء الكيل والميزان :**{ بَقِيَّتُ اللَّـهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}**[86]،ووجه الترغيب في هذا هو أن الحامل لهم على نقص الميزان والمكيال هو الاستكثار من الربح بما يقطعونه من أموال الناس عند الكيل والوزن، فرغبهم شعيب عليه السلام إلى ما فيه الخير لهم ، ولا تبعة فيه ، فبين لهم أن ما يبقيه الله لهم من أموالهم بعد ايفاء الكيل والوزن خير لهم مما يستكثرون به على غير وجهه بنقص الكيل والوزن ونحوه . وقد كان لقوم شعيب معاملات أخرى جائرة غير نقص المكيال والميزان ، وذلك أمر متوقع ممن يمارس هذا العمل كما سبق بيان ذلك في المبحث السابق. ونجد شعيبا عليه السلام يذكر هذه المعاملات في جملة الأمور التي نهاهم عنها ، وهي

١- بخس الناس أشياءهم ، وذلك في قوله تعالى:**{وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ }**[87] . أي ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم إياها. والبخس في الأصل هو النقص ، ومن أحسن ما قيل في حده قول ابن العربي :(البخس في لسان العرب هو النقص بالتعييب والتزهيد ، أو المخادعة عن القيمة ، أو الاحتيال في التزيد في الكيل أو النقصان منه). فالبخس على هذا أعم من نقص الميزان والمكيال ، فإنه يكون في المكيل والموزون وغيرهما كالمعدودات والمقدرات ، فيعم كل تصرف يقصد منه انقاص حقوق الناس ، ولذلك صور كثيرة لا تنقضي.ومما ذكر من تلك الصور عن قوم شعيب أنهم كانوا إذا دخل الغرب بلدهم أخذوا دراهمه الجيدة ، وقالوا :هي زيوف ، فيقطعونها قطعا ، ويأخذونها منه بنقصان ظاهر، أو يعطونه بدل دراهمه الجيدة زيوفا عن طريق الحيل. وذكر أيضا أنهم كانوا يقولون لمن يعرض سلعة سليمة للبيع : إن سلعتك رديئة ليصرفوا الناس عنها، ثم يشترونها بثمن بخس.

٢- الفساد في الأرض: وقد ورد ذلك في قوله تعالى:**{ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها}** [88]، وقوله تعالى:**{ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}**[89].

الفساد في الأرض عموا من كل ما سبق ونقص المكيال الميزان وبخس الناس حقوقهم وغير ذلك.

3- قطع الطريق وذلك في قوله تعالى: **{ولا تقعدوا لكل صراط توعدون}** [90]قد سبق في تفسير هذه الجملة بانها نهي عما كانوا يفعلونه من القعود في طريق إلى شعيب لسماع دعوته يسدونه ويقولون انه كذاب وهذا من الاوجه التي حملت هذه الجملة وذكر فيها وجهان اخران اولهما قطع الطريق وسلب اموال الناس وثانيهما

في الطريق لأخذ العشور من الناس جواز الشوكاني حمل الجملة على هذه الاوجه كلها وهو راي وجيه والله العالم رغم من الجهود التي بذلها شعيب (عليه السلام)في معالجة هذه الانحرافات في قومه لم يلقى منهم غير العناد والاصرار ذلك لشيوع تلك الانحرافات بينهم وتأصلها فيهم الامر ردوا عليه ردا قبيحا اذا اعتبروا محاولات في صرفهم الجارة ضربا للهذيان بابا ما يدوم عليه من الصلاة قال تعالى :{قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء أنك لأنت الحليم الرشيد} [91] في قولهم أو نفعل في أموالنا ما نشاء يعنون به ما درجوا عليه من نقص المكيال والميزان الناس حقوقهم معاملاتهم الظالمة فاستهزأوا بشعيب وانكروا عليه تدخله الامور الاموال لهم وهم احرار فيها يتصرفون فيها كيف شاؤوا ويفرضون على الناس ما يحقق لهم الارباح هذا عين ما يردده

(84)هود:84

(85) ينظر :تفسير الطبري 99/12/7،وزاد المسير .

(86) هود :86

(87) الأعراف :85

(88) الأعراف :85

(89)هود :85 والشعراء /183والنعكبوت 36.

(90) الأعراف :86

(91) هود :87

المنحرفون على المنهج الرباني في هذا العصر بل وفي كل عصر يتعاطون اكل اموال الناس بالباطل والخداع والحيل والربا مسائل المعاملات المحرمة فاذا نهوا عن ذلك يتعلل واحتجوا بما يسمونه بحريه الاقتصاد واستنكر ويتدخل الدين في هذه الامور هؤلاء لا سيما المنتسبين منهم الى الاسلام ان يعتبروا بما حل بمن يشبههم في سالف الازمان من الهلاك الظالمة واسرارهم عليهم أن يأخذ الله ان يأخذه الله بعاجل العذاب ويجعله عبره لأهل زمانه ولمن بعده كما جعل قوم كما جعل قوم شعيب عبره لأهل زمانهم ولمن بعدهم كما جعل قوم شعيب عبره الله لزمانهم ولمن بعدهم والعاقل من التعرض بغيره والله الهادي الى سواء السبيل جيد[92] .

المطلب الثاني: خطورة فعلهم الفاحش وأثره في المجتمع

إن نقص الميزان والمكيال آفة اقتصادية واجتماعية خطيرة ، وينتج عن هذا العمل أضرار جسيمة على دين الناس ودنياهم ، أما كونه ضررا على دينهم فلان هذا العمل يخالف ويناقض النهج الذي أنزله الله من عنده ليتعامل الناس بمقتضاه ، ذلك النهج هو العدل في كل شيء ، قال تعالى: **{ اللَّـهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزانَ }**[93]، والميزان هو العدل ، والموازين والمكاييل آلات لإقامة العدل ، ولذا أمر الله بإيفائها ، ونهى عن نقصها ، قال تعالى: **{ وَالسَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِيزانَ* أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ* وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ}**[94]، وقال تعالى: **{ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها }**[95]، وقال تعالى:**{ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ }** [96]، وتوعد الله المطففين بالويل ، فقال :**{ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ* أَلايَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ}**[97].فنقص الميزان والمكيال تعطيل للمنهج الإلهي ، ومخالفة للأوامر الربانية ، وتعرض لسخط الجبار وعذابه في الدنيا أو الآخرة. أما ضرر هذا العمل على دنيا الناس، فلأنه يجلب الشدة بدل الرخاء ، وغلاء الأسعار بدل رخصها ، ويؤدي إلى أضرار على معايش الناس ، وفي حديث ابن عمر ".. ولم ينقصوا المكيال إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان."وحلول هذه العقوبات وغيرها على المجتمعات التي تشيع فيها هذا العمل أمر واقع مجرب ، وأسبابه ظاهرة ، يقول ابن عاشور معلقا على ما ورد في قصة شعيب من النهي عن نقص الميزان والمكيال وهضم حقوق الناس :(وما جاء في هذا التشريع هو أصل من أصول رواج المعاملة بين الأمة ، لأن المعاملات تعتمد الثقة المتبادلة بين الأمة ، فإذا حصل ذلك نشط الناس للتعامل ، فالمنتج يزداد إنتاجا وعرضا في الأسواق ، والطالب من تاجر أو مستهلك يُقبل على الأسواق آمنا ، لا يخشى غبنا ولا خديعة ، ولا خلابة[98].

فتتوفر السلع في الأمة، وتستغني عن اجتلاب أقواتها وحاجياتها وتحسيناتها، فتقوم نماء المدينة والحضارة، على أساس متين، ويعيش الناس في رخاء وتحابب وتآخ ، وبالضد يختل حال الأمة بمقدار تفشي ذلك"[99].ثم إن هذا العمل لا يقدم عليه ويتعاطاه إلا كل جشع طماع ، وصل إلى درجة من اللؤم بحيث لا يبالي بما وقع في يده حلالا كان أم حراما، ذلك لأن المكاييل والموازين إنما وضعت لإقامة العدل بين الناس ، وحفظ الحقوق المالية في المبادلات التجارية ، فإذا تمكن شخص بخبثه ومكره من جعل ما وضع لحفظ الحقوق وسيلة لتضييعها ، فإنه لا يتورع عن أي عمل يمكنه من أكل أموال الناس ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فستجده يغش في السلعة ويخادع ، ويكذب في البيع ، ويخون الأمانة ، ويتعامل

(92) ينظر : ينظر: أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم / 440

(93) الشورى:17

(94) الرحمن :7-9

(95) الأنعام : 152

(96)الأسرى: 35

(97) المطففين : 1-5

(98) بكسر الخاء، هي الخداع باللسان. مختار الصحاح / 183- خلب.

(99) التحرير والتنوير 8/ القسم الثاني /244.

بالربا، إلى غير ذلك من المعاملات الجائرة المحرمة. ومثل هذا يقال في المجتمع ، فشيوع هذا العمل في أي مجتمع يوحي ذلك بوجود انحرافات أخرى في معاملاته التجارية ، بل وفي سائر المعاملات ، فإن الناس إذا اعتادوا الغش والخيانة في الأموال حملهم ذلك على الغش والخيانة في غيرها ، فتضيع الأمانة بالكلية ، ويشيع الغدر وعدم الثقة في المجتمع فكل واحد يتوجس خيفة من الآخر أن يخونه ويغدر به ، وكل واحد يتربص بالآخر ليقتطع جزءا من ماله أو ليهضم له حقا من حقوقه.وإذا وصل المجتمع إلى هذه الحالة أوشك أن ينهار ، وتنهد أركانه ، ويحل عليه العقوبات الموعودة ، هذا إن لم يتدارك الناس أنفسهم بتوبة عاجلة صادقة ، تحول بينهم وبين عذاب الله ، إما في الدنيا كما فعل الله بقوم شعيب ، أوفي الآخرة ، وذلك أشد وأخزى [100].

المطلب الثالث: حكم مرتكب هذا الفعل في الشريعة الإسلامية.

يحرم التطفيف في جميع المذاهب، وذكر الشيخ الأنصاري في كتاب المكاسب التطفيف تحت عنوان: «ما يَحرم الاكتساب به لكونه عملًا محرَّماً في نفسه» [101]واعتبر الشيخ السبحاني إنَّ حرمته من ضروريات الفقه [102] تمسك الفقهاء لإثبات حرمة التطفيف بالأدلة الأربعة وهي القرآن، والروايات، والإجماع، والعقل. وجاء في سبع آيات قرآنية وبعناوين مختلف حرمة التطفيف ونهت عنه كالتطفيف، والبخس، والنقص، والإخسار، [103]ومن هذه الآيات: بدأت سورة المطففين بقوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**﴾ وفي الآيتين التاليتين تم توضيح خصائص المطففين، فهؤلاء عندما يشترون شيء يأخذون حقهم بالكامل، وينقصون من حق الآخرين عند البيع. [104]وتُستخدم كلمة «ويل» للإشارة إلى الوعيد والتهديد، وكذلك لمن وقع في هلاك وعقاب. [105]وقد ذكر البعض إنَّ «ويل» اسم مكان في جهنم. [106]و«المُطفف» مأخوذ من كلمة «تطفيف» وفي الاصطلاح يُطلق على المطفف المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن والطفيف النزر القليل [107]. [قال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ...﴾ [108]و«البَخْسُ» أيضاً بمعنى «التطفيف»، وهو بمعنى نقص حق الآخرين على سبيل الظلم [109]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ...﴾ قال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [110]. وردت الروايات المتعلقة بحرمة التطفيف مع روايات أخرى حول التجارة تحت عنوان «آداب التجارة» في المصادر الحديثية [111]ومن هذه الروايات: رواية عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام)حول أهل السوق أوردها الكليين في كتابه الكافي جاء فيها: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ الْفِقْهَ ثُمَّ الْمَتْجَرَ (قالها ثلاث مرات)... التَّاجِرُ فَاجِرٌ، وَالْفَاجِرُ فِي النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ»[112] ونقل الشيخ الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا رواية عن الإمام الرضا عليه السلام جاء فيها: إنَّ البخس في المكيال والميزان يُعتبر من الذنوب الكبيرة[113].ونقل الشيخ الصدوق في كتاب ثواب الأعمال وعقاب الأعمال رواية عن الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله عليه الصلاة و السلام أنَّه قال: «...لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوهَا، إِلَّا وَظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ

(100) ينظر: أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم / 447

(101)كتاب المكاسب، مرتضى الأنصاري قم، مجمع الفكر الإسلامي، 1415هـ ،ج1، 163.

(102)السبحاني، المواهب في تحرير أحكام المكاسب،1416هـ ،199.

(103) الأعراف: 85/،هود:84-85 ،الشعراء :183،المطففين:1.

(104) المطففين :1-3.

(105) الطوسي التبيان ،ج295/10.

(106)ا الأصفهاني المفردات في بيان غريب القرآن، الحسين بن محمد بن فضل ط 2/ 1404هـ 295.

(107) الطوسي نفس السابق .

(108) الأعراف :85،هود:85

(109) الاصفهاني :43.

(110) هود:84.

(111) الكليني، الكافي ،ج5، 150 ،الحر العاملي وسائل الشيعة،ج 282/5

(112) المصدر نفسه ج5 ،150

(113) عيون أخبار الرضا الصدوق، محمد بن علي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1 ،1404هـ / ج1 ص143.

وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ [114]. وأما الإجماع فقد ذكر أبو القاسم الخوئي إنَّ جميع المسلمين يذهبون إلى حرمة التطفيف[115]كما ذكر صاحب مفتاح الكرامة أيضاً إنَّ إجماع الفقهاء من الأدلة التي تُثبت حرمة التطفيف[116].والدليل العقلي لإثبات حرمة التطفيف على هذا النحو: التطفيف ظلم، والظلم في نظر العقل قبيح إذن التطفيف قبيح[117].

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة مع المصادر، والمراجع، بصعوبتها وحلاوتها توصلنا إلى بعض النتائج منها:

1- إن آجال الأمم ودراستها تجعلنا نطلع على الخاتمة التي يصل إليها كل من يفعل فعلا حسنا كان أو قبيحا، ونتعظ بها

2- خطورة فاحشة (اللواط) وآثارها السيئة، التي ابتدعها قوم لوط من أكبر الفواحش وأشنعها، فهي انتكاسة خطيرة عن الطبيعة البشرية، ومضادة لما فطر الله الناس عليها من ميل الذكر إلى الأنثى، والأنثى إلى الذكر، فهي خروج عن المألوف حتى لدى البهائم والوحوش.

3- إن فاحشة اللواط لا تؤثر على الشخص الفاعل أو المفعول به فحسب؛ بل تتعداهما إلى المجتمع من خلال انتشار الأمراض الخطيرة، وكذلك انهيار نظام الأسرة وتفكك المجتمع، وانتشار الجرائم، وغيرها.

4- من أسباب آجال الأمم التطفيف (نقص الميزان والمكيال)، فهو آفة اقتصادية واجتماعية خطيرة، وينتج عنه أضرار جسيمة على دين الناس ودنياهم.

5- إن للتطفيف أضرار دنيوية فضلا عن أضراره الأخروية؛ لأنه يجلب الشدة بدل الرخاء، وغلاء الأسعار بدل رخصها، ويؤدي إلى أضرار على معايش الناس.

6- من كل ذلك؛ لابد وأن يعي من يريد وجه الله تلك المخاطر التي تكون نتيجة هذه الأفعال وغيرها مما نها الله عنها، وأن يجعل الله عز وجل نصب عينيه في كل خطوة يخطوها.

(114) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، قم، دار الشريف الرضي للنشر، ط2 ،1406هـ. ،252.

(115) مصباح الفقاهة الخوئي، أبو القاسم، قم، مؤسسة أنصاريان، 1417هـ ج1 ص243.

(116) تشريح المطالب ذهني طهراني، محمد جواد، قم، نشر حاذق، 1369هـ ج 2 ص427.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- إرشاد الطالب إلى تعليق المكاسب، جواد التبريزي قم، مطبعة مهر، 1399هـ .

2- أسباب هلاك الأمم السالفة كما ورد في القرآن الكريم سعيد محمد بابا سيلا ط 1.

3- تشريح المطالب ذهني طهراني، محمد جواد، ، قم، نشر حاذق، 1369هـ.

4 -تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور الدار التونسية للنشر والتوزيع.

5 - تفسير الرازي لفخر الدين، محمد بن عمر الرازي ت 604هـ طبعة 1410هـ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

6 - تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت310هـ ط 1 1408 هـ دار الفكر بيروت / ٢٣ /٩٧.

7 -تفسير المحيط، لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف ت754هـ ط2 1398هـ دار الفكر.

8 -تفسير المنار محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منال علي خليفة القلمونين الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م ج٣.

9 -ثواب الأعمال وعقاب الأعمال الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، قم، دار الشريف الرضي للنشر، ط2 ،1406هـ.

10 -زاد المسير لابن الجوزي جمال الدين عبد الرحمن بن علي الحنبلي ت 597هـ تحقيق محمد عبد الرحمن ط 1 1407هـ دار الفكر بيروت.

1 1- عيون أخبار الرضا الصدوق، محمد بن علي، بيروت، مؤسسة العلمي للمطبوعات، ط1 ،1404هـ /1984.

12- القاموس المحيط. أمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي المتوفى (817هـ) وأسم الكتاب الكامل القاموس المحيط والقابوس الوسيط، الجامع لما ذهب من كلام العرب، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة والطبع والنشر، بيروت - لبنان ،1426هـ - 2005 م. الطبعة الثامنة 3/ 327.

13-قصص الأنبياء ابن كثير عماد الدين أبو فداء إسماعيل ابن كثير القرشي (ت774) تحقيق الدكتور عبد الحي من جامعة الأزهر ط/5 1417هـ 1997م الناشر دار الطباعة والنشر الإسلامية.

14- قصص الأنبياء والتاريخ الدكتور رشدي البدراوي ط 1 ،2004 ج2 .

15- الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، تصحيح: علي أكبر الغفاري ومحمد الآخوندي، طهران، دار الكتب الإسلامية، ط4، 1407.

16- لسان العرب، محمد مبن مكرم المعروف بابن منظور المحقق عبد الصادق العبيدي الناشر دار الإحياء بيروت لبنان، ج:1، ص:15.

17- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي ت ٢٧٤هـ ج١ تحقيق السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)ط١٣٧٠ - ١٣٣٠

18- محمد رسول الله والذين معه عبد الحميد السحار ج 2.

19- مصباح الفقاهة ، أبو القاسم الخوئي، قم، مؤسسة أنصاريان، 1417هـ.

20 - المصباح المنير أحمد بن محمد الفيومي ، تحقيق عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ،ط 1.

21-المعجم المفهرس الالفاظ القرآن. لـ محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث، مصر: مركز تفسير للدراسات القرآنية، لطبعة الأولى 1436هـ 2015م.

22- مفتاح الكرامة الحسيني العاملي، محمد جواد، قم، مؤسسة النشرالإسلامي، 1419هـ.

23 ـالمفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 ،1428هـ /2008م.
24 ـالمكاسب، مرتضى الأنصاري قم، مجمع الفكر الإسلامي، 1415هـ.
25ـالمواهب في تحرير أحكام المكاسب، جعفر السبحاني قم، مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، 1416هـ.
26ـالميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، أيران قم المقدسة، ج:7
27ـ وسائل الشيعة الحر العاملي، محمد بن الحسن، قم، مؤسسة آل البيت إلحياء التراث، ط1،هـ.